

الدرس السابع مادة العقيدة الإسلامية القواعد الأربع (٢)

شرح فضيلة الشيخ محمد العويد - حفظه الله -

الدرس السابع – القواعد الأربع ٢

قال المؤلف رحمه الله : الثانية : أنهم يقولون ما دعو ناهم و توجهنا إليهم إلا لطلب القرابة والشفاعة فدليل القرابة قوله تعالى (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَيْ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَادِبٌ كَفَّارٌ) (الزمر: من الآية ٣)

ودليل الشفاعة قوله تعالى (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شُفَاعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) (يونس: من الآية ١٨) الشفاعة شفاعتان : شفاعة منفية و شفاعة مثبتة فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله والدليل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْعُغُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة: ٢٥٤) والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله والشافع مكرم بالشفاعة والمشفع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (البقرة: من الآية ٢٥٥).

الشرح : فيه مسائل :

١- اتخاذ الوسائل : من الشرك بالله تعالى أن يتخذ العبد وسائل بينه وبين الله تعالى ، وقد اعترف المشركون بأنهم يعبدونها ، كما قال سبحانه : { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَيْ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَادِبٌ كَفَّارٌ } (الزمر ٣)

ويعتبرون هذه العبادة شفاعة لهم عند الله تعالى ، كما قال سبحانه : {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَاعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَبَيِّنُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ } يومنس ١٨

٢ - انواع الشفاعة

الأولى : الشفاعة المثبتة ، وهي التي أثبتهما الله تعالى وجمع بين شرطين ، جاء ذكرهما في قوله تعالى : {وَكُمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضِي } النجم ٢٦ ، وهذان الشرطان هما : إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له ، وبدون هذين الشرطين لا تتم الشفاعة ولا تقبل

الثانية : الشفاعة المنافية ، وهي : الشفاعة الشركية التي يطلبها الشافع من غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فهو لاء كما قال سبحانه : {أَتَتَخِدُ مِنْ دُونِهِ آلهَةً إِنْ يُرِدُنِ الرَّحْمَنَ بِضُرٍّ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ } يس ٢٣ . ويوم القيمة لا ينتفعون بشفاعتهم ، قال سبحانه : {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا طه ١٠٩ . والشركون جعلوا معبداتهم شفاعة عند الله تعالى كما قال سبحانه : {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَاعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَبَيِّنُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ } يومنس ١٨

قال المؤلف رحمه الله : الثالثة : أن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر على أناس متفرقين في عبادتهم منهم من عبد الملائكة ومنهم يعبد الأنبياء والصالحين ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ومنهم من يعبد الشمس والقمر وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرق

بينهم والدليل قوله تعالى (وَقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) (الأفال: من الآية ٣٩)

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا بَعْدُونَ) (فصلت: ٣٧)

ودليل الملائكة قوله تعالى (وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَسْجُدُوا إِلَيَّ الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا) (آل عمران: من الآية ٨٠) ودليل الأنبياء قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلُمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكِ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ) (المائدة: ١١٦)

دليل الصالحين قوله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّعْنُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَةَ وَيَخَافُونَ عَذَابَهِ) (الاسراء: من الآية ٥٧) ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ الْلَّاتَ وَالْعُزَّى) (لتجم: ١٩) (وَمَنَّا هُنَّ إِلَّا ثَالِثَةُ الْأُخْرَى) (لتجم: ٢٠) وحديث أبي واصد الليثي رضي الله عنه قال " خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بکفر وللمشركين سدرة يعکفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواع فمررت بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواع كما لهم ذات أنواع الحديث .

الشرح : فيه مسائل :

- ١- اختلاف العبودات من دون الله : وبعض العبودات راضية باتخاذها معبوداً من دون الله ، بل منها من يجبر غيره على عبادته كما حصل من فرعون عندما قال لقومه :

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي } {القصص ٣٨} ، بل كان يهدى في ذلك : {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ } {الشعراء ٢٩}

وبعضها لا يرضى ذلك بل يتبرأ من عبده ، قال تعالى : {إِذْ تَرَأَ الذِّينَ أَتَبْعَوْا مِنَ الَّذِينَ أَتَبْعَوْا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } {البقرة ١٦٦}

على أن كل العبادات تتبرأ من عابديها يوم القيمة كما في الآية السابقة

بل ويتبؤون من سائر طاعتهم ، قال سبحانه : {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَلَأَخْلُفَنَّكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُنِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلِ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } {إبراهيم ٢٢}

٢ - حديث العهد بالكفر ، إذا طلب شيئاً مخالفًا للتوحيد أو أنكر شيئاً من الشرع فإنه لا يحكم بکفره حتى يبين له الحكم الشرعي لها ، ولذا لم يکفر النبي صلى الله عليه وسلم حديثي العهد بالدخول في الإسلام من الصحابة عندما طلبوا التبرك بالشجرة ، لأنهم جاهلون لحكمها ، كما في حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال " خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بکفر وللمشركين سدرة يعکفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط الحديث .

فيین لهم عليه الصلاة والسلام حكم طلبهم وأنه شرك كشرك أصحاب موسى عندما قالوا : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلة

وهذا يكثر في الأماكن التي يغيب فيها شرع الله ويسلم بعض الناس على جهل بعض أحکامه بسبب عدم بلوغها لهم ، ولذا ففي آخر الزمان لا يبقى للمسلمين سوى كلمة التوحيد ، ومع ذلك يحكم بإسلامهم ، وقد ثبت عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس : الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدر كنا آباءنا على هذه الكلمة : لا إله إلا الله " فحن نقولها " رواه ابن ماجه والحاكم وهو صحيح

قال المؤلف رحمه الله : الرابعة : أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين يشتركون في الرخاء ويخالصون في الشدة ومشركون زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة والدليل قوله تعالى (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) (العنكبوت: ٦٥)

الشرح : فيه مسائل :

١ - الفرق بين الشرك قديماً وحديثاً ، أما قديماً فقد ذكرها الله تعالى في الآية بقوله تعالى : {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} (العنكبوت: ٦٥) ، أما في الحديث - زمن المؤلف وزماننا - فإن الشرك في كل الأحوال رخائها وشدتها ، بل إنه في حال الشدة يزداد التقرب إلى ما يعبد من دون الله ، ومنها الاستغاثة بالقبور وذبح القرابين عندها لتحصيل مطلوب أو دفع مكروب . وهذا منتشر في كثير من بلاد المسلمين التي يغيب فيها التوحيد الحق ، ويظهر فيها أنواع الشرك والبدع

٢- الشرك لا يغفر ، لقوله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} النساء ١١٦ . لكن من تاب إلى الله تعالى وتبأ من الشرك وحقق التوحيد فإن الله تعالى يغفر له ما سلف ، قال تعالى : {قُلْ لِلّٰٰذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَهُوًا يُغَفَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} الأنفال ٣٨

وقد ثبت عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال في حديث ، وفيه : قال : ما لك يا عمرو ؟ قال : أردت أنأشترط . قال : تشرط بماذا ؟ قلت : أن يغفر لي . قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله رواه مسلم

تمت وصلى الله على محمد وآلـه وصحبه وسلم